

أهمية كسب الرزق الحلال وطلب العيش الطيب وفضله , والأمر به - ارتباط نزاهة اليد واللسان والقلب بالإيمان - التحذير من الكسب الخبيث وأثره على الفرد والمجتمع - أهمية الورع وترك المشتبه وحال السلف في ذلك

أما بعد:

فاتقوا الله أيها الناس، اتقوه في أنفسكم وأهلكم، اتقوه في أعمالكم وأموالكم، اتقوه فيما تأكلون وما تدخرون: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوتَ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [البقرة:168].

عباد الله، كسب الرزق وطلب العيش شيء مأمور به شرعاً، مندفعاً إليه النفوس طبعاً، فالله قد جعل النهار معاشاً، وجعل للناس فيه سبباً طويلاً. أمرهم بالمشي في مناكب الأرض ليأكلوا من رزقه. وقرن في كتابه بين المجاهدين في سبيله والذين يضربون في الأرض يبتغون من فضله، ﴿يُضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقْتَلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَأَقْرَعُوا مَا تَيْسَّرَ مِنْهُ﴾ [المزمل:20]. وأخبر عليه الصلاة والسلام أنه ((ما أكل أحد طعاماً خيراً من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده)) رواه البخاري [1]، ولقد قال بعض السلف: إن من الذنوب ذنوباً لا يكفرها إلا الهم في طلب المعيشة. وفي أخبار عيسى عليه السلام أنه رأى رجلاً فقال: ما تصنع؟ قال: أتعبد. قال: ومن يعولك؟ قال: أخي. قال: وأين أخوك؟ قال: في مزرعة. قال: أخوك أعبد لله منك.

وعندنا - أهل الإسلام -: ليست العبادة أن تصفَّ قدميك، وغيرك يسعى في قوتك؛ ولكن ابدأ برغيفيك فأحرزهما ثم تعبد.

والاستغناء عن الناس - أيها الإخوة - بالكسب الحلال شرف عالٍ وعزٌّ منيفٌ. حتى قال الخليفة المحدث عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ما من موضع يأتيني الموت فيه أحب إلي من موطن أتسوق فيه لأهلي؛ أبيع وأشتري. ومن ماثور حكم لقمان: يا بني، استغن بالكسب الحلال عن الفقر، فإنه ما افتقر أحد قط إلا أصابه ثلاث خصال: رقة في دينه، وضعف في عقله، وذهاب مروءته.

إن في طيب المكاسب وصلاح الأموال سلامة الدين، وصون العرض، وجمال الوجه، ومقام العز.

ومن المعلوم - أيها الأحبة - أن المقصود من كل ذلك الكسب الطيب، فالله طيب لا يقبل إلا طيباً، وقد أمر الله به المؤمنين كما أمر به المرسلين؛ فقال عز من قائل: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً﴾ [المؤمنون: 51] وقال عز شأنه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنَّ كُنتُمْ لَإِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [البقرة:172].

ومن أعظم ثمار الإيمان طيب القلب، ونزاهة اليد، وسلامة اللسان، والطيبون للطيبات، والطيبات للطيبين. ومن أسمى غايات رسالة محمد ﷺ أنه يحل الطيبات، ويحرم الخبائث.

وفي القيامة يكون حسن العاقبة للطيبين ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ يَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل:32].

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ : **((من أكل طيباً وعمل في سنة، وأمن الناس بوائقه دخل الجنة))**[2] . وأخرج أحمد وغيره بأسانيد حسنة عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: **((أربع إذا كن فيك فلا عليك ما فاتك [من الدنيا: حفظ أمانة، وصدق حديث، وحسن خليقة، وعفة في طعمة])**[3]

إن طلب الحلال وتحريمه أمر واجبٌ وحتمٌ لازمٌ، فلن تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه. إن حقاً على كل مسلم ومسلمة أن يتحرى الطيب من الكسب، والنزبه من العمل؛ ليأكل حلالاً وينفق في حلال. انظروا - رحمكم الله - إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه يجيئه غلامه بشيء فيأكله فيقول الغلام: أتدري ما هو؟ تكهنت في الجاهلية لإنسان وما أحسن الكهانة؛ ولكنني خدعته، فلقيني فأعطاني بذلك، فهذا الذي أكلت. فأدخل أبو بكر يده في فمه فقاء كل شيء في بطنه[4]، وفي رواية أنه قال: **((لو لم تخرج إلا مع نفسي لأخرجتها. اللهم إني أعتذر إليك مما حملت العروق وخالطه الأمعاء))**. وشرب عمر لبناً فأعجبه، فقال للذي سقاه: من أين لك هذا؟ قال: مررت بإبل الصدقة وهم على ماء، فأخذت من البانها، فأدخل عمر يده فاستقاء. وتوصي بعض الصالحات زوجها وتقول: يا هذا اتق الله في رزقنا فإننا نصبر على الجوع، ولا نصبر على النار.

أولئك هم الصالحون يُخرجون الحرام والمشتبه من أجوافهم، وقد دخل عليهم من غير علمهم. وخَلَفَتْ من بعدهم خلوف يعمدون إلى الحرام ليملاؤا به بطونهم وبطون أهليهم.

أيها المسلمون، أرايتم الرجل الذي ذكره النبي ﷺ **((يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء؛ يا رب يا رب، ومطعمه حرام، وملبسه حرام، وغذي بالحرام، فأنى يستجاب لذلك))**[5] . لقد استجمع هذا الرجل من صفات الذل والمسكنة والحاجة والفاقة ما يدعو إلى رثاء حاله، ويؤكد شدة افتقاره، تقطعت به السبل، وطال عليه المسير، وتغربت به الديار، وتربت يداه، واشعث رأسه، واغبرت قدماه، ولكنه قد قطع صلته بربه، وحرَم نفسه من مدد مولاه، فحيل بين دعائه والقبول. أكل من حرام، واكتسى من حرام، ونبت لحمه من حرام، فردت يداه خائبتين.

بربكم ماذا يبقى للعبد إذا انقطعت صلته بربه، وحُجِب دعاؤه، وحيل بينه وبين الرحمة؟! لمثل هذا قال بعض السلف: لو قُمت في العبادة قيام السارية ما نفعك حتى تنظر ما يدخل بطنك.

وإن العجب كل العجب - أيها الأخوة - ممن يحتمي من الحلال مخافة المرض ولا يحتمي من الحرام مخافة النار.

عباد الله، إن أكل الحرام يُعمي البصيرة، ويوهن الدين، ويقسي القلب، ويُظلم الفكر، ويقعد الجوارح عن الطاعات، ويوقع في حبال الدنيا وغوائلها، ويحجب الدعاء، ولا يتقبل الله إلا من المتقين.

إن للمكاسب المحرمة آثاراً سيئة على الفرد والجماعة؛ تُنزع البركات، وتفشو العاهات، وتحل الكوارث. أزمات مالية مستحكمة، وبطالة متفشية، وتظالم وشحناء.

أيها المسلمون، ويل للذين يتغذون بالحرام، ويربون أولادهم وأهليهم على الحرام، إنهم كشارب ماء البحر كلما ازدادوا شرباً ازدادوا عطشاً، شاربون شرب الهيم، لا يقنعون بقليل، ولا يغنيهم كثير. يستمرنون الحرام، ويسلكون المسالك المعوجة؛ رباً وقمار، وغصب وسرقة، تطفيف في الكيل والوزن والذرع، كتم للعيوب، سحر وتنجيم وشعوذة، أكل لأموال اليتامى والقاصرين، أيمان فاجرة، لهو وملاها، مكر وخديعة، زور

وخيانة، مسالك معوجة، وطرق مظلمة، في الحديث الصحيح عند البخاري والنسائي:
(يأتي على الناس زمان لا يبالي المرء ما أخذ منه، أمن الحلال أم من الحرام)) [6]. زاد
[رزين: ((فإن ذلك لا تجاب لهم دعوة)) [7].

أيها العمال والموظفون؛ أيها التجار والصناع، أيها السماسرة والمقاولون أيها
المسلمون والمسلمات، حق عليكم تحري الحلال والبعد عن المشتبه، احفظوا حقوق
الناس، أنجزوا أعمالهم، أوفوا بالعقود والعهود، اجتنبوا الغش والتدليس، والمماطلة
والتأخير، اتقوا الله جميعاً، فالحلال هنيء مريء، ينير القلوب، وتنشط به الجوارح،
وتصلح به الأحوال، وتصح به الأجسام، ويستجاب معه الدعاء.

اللهم اغننا بحلالك عن حرامك، وبطاعتك عن معصيتك، وبفضلك عن سواك، اللهم
ولا تجعل الدنيا أكبر همنا، ولا مبلغ علمنا، ولا إلى النار مصيرنا، ونسألك اللهم الغنيمة
من كل بر، والسلامة من كل إثم، وبارك لنا فيما رزقتنا، وقنا عذاب النار، استجب اللهم
يا ربنا دعاءنا.

]

الخطبة الثانية

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما يحب ربنا ويرضى، وأشهد أن لا إله إلا الله
وحده لا شريك له، له الحمد في الآخرة والأولى، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده
ورسوله، أحل لنا الطيبات، وحرم علينا الخبائث، وجعلنا على المحجة البيضاء، صلي
الله وسلم وبارك عليه وعلى آله الأصفياء، وأصحابه الأوفياء، والتابعين، ومن تبعهم
ياحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

أيها الإخوة المسلمون، خير سبيل للبعد عن المحرم ترك المشتبه، وسلوك مسالك
الورع عند التردد، وفي الحديث: ((لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين حتى يدع ما لا
بأس به حذراً مما به البأس)) [1]. رواه ابن ماجه والترمذي وقال حديث حسن غريب،
(فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام))
جزء من حديث رواه البخاري، ومسلم واللفظ له من حديث النعمان بن بشير [2]. ولقد
قال الحسن البصري رحمه الله: ما زالت التقوى بالمتقين حتى تركوا كثيراً من الحلال
مخافة الحرام. وقال أبو الدرداء رضي الله عنه: تمام التقوى أن يتقي العبد ربه؛ حتى
يتقيه من مثقال ذرة، وحتى يترك بعض ما يرى أنه حلال خشية أن يكون حراماً؛ حجاباً
بينه وبين الحرام. ولتعلموا رحمكم الله أن المشتبهات يحصل للقلوب عندها القلق
والاضطراب الموجب للشك، والورع هو الوقوف عند المشتبهات يدع ما يريبه إلى ما لا
يريبه.

فاتقوا الله - رحمكم الله - وأطيعوا مطاعكم ومشاربكم، واتقوا الله في أنفسكم
وأهلكم، اتقوا ناراً وقودها الناس والحجارة، عليها ملائكة غلاظ شداد، لا يعصون الله ما
أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون.